٢٧٢٣
٢٢٦٩١
تاريخ

اخبار الحبشة
للمقريزي

٢١٢٧
٢٢٦٩٢

الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد فهذه جملة من اخبار الطائفة القائمة بالملة الاسلامية ببلاد الحبشة المجاهدين في سبيل الله من كفر بهم وصد عن سبيله تلقيتها بمكة شرفها الله تعالى ايام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من العارفين باخبارهم والله اسال التوفيق الى سواء الطريق بمنه وكرمه ذكر بلاد الحبشة اعلم ان بلاد الحبشة اولها من جهة المشرق المايل الى جهة الشمال بحر الهند المار من باب المندب الى بلاد اليمن وفيها يمر بحر حلوان قال سيحون يرفد نيل مصر وجهة الحبشة الغربية تنتهي الى بلاد التكرور وما يلي جهة اليمن واولها مقابلة لمخاء يسمى ولدي بركة يتوصل منه الى سمحرت وكانت مدينة المملكة في القديم ويقال لها اخرم ويقال لها انصار رفرناوبها كان النجاشي ثم اقليم بحر وهو الان مدينة المملكة ويسمى ايضا مرعدي ثم اقليم سمر بشاوه ثم لامان ثم اقليم السهو ثم اقليم الزنج ثم اقليم عدل الاموائم اقليم حاسا ثم اقليم باريا ثم اقليم الطراز الاسلامي الذي يحاله الزيلع ولكل اقليم من هذه الاقاليم الاثني عشر ملك والكل من تحت يد الخطي ومعناه بالعربية السلطان وتحت يده تسعة وتسعون ملكا هو تمام المايه الان بلاد هم غير مشهورة عندنا وجميع بلاد الحبشة تزرع على المطر مرتين فيحصل لهم في السنة الواحدة محلان واكثر عندهم نزول المطر

وبعت

سمحرت
اخرم
بشاوه
ولدي الاموائم الزنج
عدل لامان الحبش باريا
الزيلع

المطر

وقت الصراع وعندهم اشجار كبيرة منهم ما تظل الواحدة مائتي فارس فمن اشجارهم شجر الابنوس وعندهم القنا وهو نوعان صامت ومجوف ولهم مقايت لا تعرف ببارض مصر والشام ولا العراق وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب ويوجد في بلادهم معدن الفضة وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية باعلى الجبل فتصير في الجوشبة فوس قزح في عظمها لاني اللون واخبر ثقاتنا انه شاهد ذلك وعندهم سحرة يمنعون الريح ان تهب فيامر الخطي بهم ان يضربوا فلا يزال يضربون حتى تهب الريح فيدرءا عليها غلالهم وعندهم دجاج الحبش وهو بربري ولهم دجاج ثابي يخرج هو والبط من بربرة وهي اقليم هديه من بلاد الزيلع وهو مولد من هذا الطائر للحبشة من سفرات يوليه من طريق النصاري اليها قبة بمصر بعد سوال الخطي سلطان مصر في ذلك بكتاب يبعثه مع رسله وصحبته هدية فيتقدم البطريق بتعيين مطران لهم والحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون بمذهب اليعقوبية وهم يشتدون في دياناتهم تشدد اراديا وبعادون من خالفهم من سايرالملل اشد عداوة وبيادون الطايفة الملكية من النصاري بحيث اخبرني من دخل منهم الى بلاد الحبشة انه اظهر بها انه يعقوبي خوفا من القتل لو علموا بانه ملكي والحبشة تسكن بيوتا من قش تطلى باخثا البقر ويا كلون اللحم نيا حتى لقد اخبرني من شاهد الخطي ذا بدين سيف ارعد يا كل كرش بقرة نيا وما بينه من بقايا

ذكر بعض

الفرنج يسيل على جنكه وشاهد رجلا ياكل دجاجة وهي تصيح وهم
عراة الابدان لا يكادون يعرفون لبس الخيط بل يرتدون ويتزرون
في اوساطهم وليس الخطي ديوان لكنه اذا خرج الى الغزو امر
جنده فالقى كل منهم حجرا في موضع يعينه لهم لذلك فاذا رجع
من غزاته اخذ كل واحد من العسكر حجرا فافضل من الحجارة على ما به
عدة من هلك منهم فلما هلك الخطي داود بن سيف ارعد
سنة ثنتي عشرة وثمانمائة اقيم بعده ابنه تدرس فهلك سريعا
واقيم بدله اخوه اسحاق بن داود بن سيف ارعد ورايت من بسيم
ابرم فخم امره وذلك ان بعض المماليك الجراكسة ممن كان
ترد كاش بديار مصر تقدم عليهم واقام عنده وعمله زردخاناه
عظيمة تشتمل على الات السلاح من السيوف والرماح والزرديات
ونحو ذلك وكانوا من قديم الدهر انما سلاحهم الحراب يرمون بها
وقدم عليهم من امر الدولة بمصر شخص يقال الطنبغا مرف
ترقي حتى ولي ببعض بلاد الصعيد ثم قرايه وكان يعرف من
اداب اللعب بالات الحرب ومن انواع الفروسية اشياء لخطي
عند الخطي وعلم عساكره رمي النشاب واللعب بالرمح والضرب
بالسيف وعمل لهم النفط فعرفوا صناعات الحروب وقدم عليه
ايضا من قبط مصر نصراني يعقوبي يعرف بفخر الدولة فرتب
له المملكة وجبى له الاموال فصار ملكا له سلطان ديوان
بعد ما كانت مملكته ومملكة اباه هما الديوان لها ولا ترتيب
ولا قانون فانضبطت عنده الامور وتميز به من دعته بالملابس

الفاخر بعد ما كان داود بن سيف ارعد يخرج عريانا وقد عصب
راسه بعصابة حمرا فصار اسحاق يمر في موكب جليل يشاره
الملك حتى لقد اخبرني من راه وهو راكب فرسه وقد مر في
موكبه وفي يده اليمنى صليب من ياقوت احمر وقد قبض عليه
في كفه ووضعها على فخذه وطرفا الصليب بارزتان عن يده
بروز كثيرا فلما تحضرت دولته وقويت شوكته وسوس اليه
شياطينه ان ياخذ مال الملك الاسلام فاوقع من تحت يده في ممالك
الحبشة من المسلمين وقايع شنيعة طويلة قتل فيها وسبا واسترق
عالما لا يحصيه الا الله سبحانه وتعالى وازال دولة المسلمين
من هناك كما اني ذكرها ان شاء الله تعالى ثم كتب الى ملوك
الفرنج يحثهم على ملاقاته لازالة دولة الاسلام واوعدهم على
ذلك واخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الاسلامية واستمالة
الربان فعاجله الله سبحانه وتعالى بنقمته واهلكه عقيب ذلك
في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وسلط الله
على اهرم الملك جمال الدين بن سعد الدين فاوقع بهم وقايع
واتى منهم امما واسرا منهم عوالم لا تحصى اقطار الارض يمنا وهندا
وحجازا ومصر وشاما وروما وقد اقيم بعد اسحاق المذكور
ابنه ادريس فهلك لاربعة اشهر من ولايته واقيم بعد ذلك
عمه نخريزاي بن داود بن سيف ارعد فلم تطل ايامه وهلك
في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين فاقيم عوضه سلمون
ابن اسحاق بن داود فهلك سريعا فكان للحبشة في سنة او نحوها

اربعة ملوك وتوالت حروب المسلمين فيهم تقتل وتاسر وتسبي وتحرق
وتغنم فشا في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنيع في سنة خمس
وثلاثين وثمانمائة وهلك فيه الخلق وعالم عظيم حتى قيل انه
قد خلت البلاد بموت اهلها والله يرث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين ذكر بلاد الزيلع اعلم ان بلاد الزيلع كما تقدم
من جملة بلاد اراضي الحبشة وعرقت بقرية في جزيرة من بالبحر
يقال لها زيلع وطول ارض الزيلع برا وبحرا نحو شهرين وعرضها
اكثر من شهرين الان غالبها قفار غير مسكونة ومقدار العمارة
منها مسافة ثلاث واربعين يوما طولا في عرض اربعين يوما
وتنقسم الى تسع ممالك وهي اوفات ودوارو واربيبي
وهدبه وشرحا وبالي وداره وكل مملكة من هذه الممالك التسع
ملك ويتسلط عليهم جميعهم الخطي ملك امحره ويأخذ منهم
القطعية من المال في كل سنة وهي قماش وغيره وكلها مما لان
ضعيفة قليلة المتحصل وبها المساجد والجوامع التي تقام بها
الجمعة والجماعة وعند اهلها محافظة على الدين ويقال لها
الجبرت وهي بلاد حارة وبيوتهم من طين وحجر وخشب وليس
لها اسوار ولا بها خفارة لامورهم وملكها اوفات طولها خمسة
عشر يوما في عرض عشرين يوما كلها عامر بالغرس والاسعار
بها رخيصة اخبرني الشيخ المعمر الاديب الشاعر المغربي الجوال
في الارض رحمه الله قال رايته بمدينتها وفات ايام عمارتها
المور يباع كل عرجون بدرج درهم منه نحو مائة رمان وزنة اللحم

يباع اللحم كل طابق وهو ثلاثون رطلا بدرهم ونصف وملك
اوفات يحكم على الزيلع وغالب اهلها شافعية المذهب وكثر
فيها بعد هذا الحنفية وكلام اهلها باللغة الحبشية ويتكلمون ايضا
باللغة العربية توفي بها ملكة عدة مدن وملكها يجلس على كرسي
ويركب والطبل والزمر وعندهم الفواكه وقصب السكر ولهم
منابت لا تعرف بمصر والشام منها شجرة يقال لها جات لا ثمر لها
يوكل ورقها وهي كما تشبه قلوب اوراق شجر الناريخ وهي تزيد
في الذكاء وتذكر النسيان وتفرح وتقلل شهوة الاكل والجماع وتقلل
النوم ولاهل تلك البلاد في اكل هذه الشجرة رغبة كبيرة لا
سيما اهل العلم ويجلب اليها الذهب من داموت وسحام وهما
معدنان للحبشة وبها معاملتهم ومملكة دوارو وطولها خمسة ايام
في عرض يومين واهلها حنفية المذهب ومعاملتهم الحديد
وتسمى الواحدة من تلك الحدايد حنكة بفتح الحا المهملة وضم النون
والكاف وهي طول الذيرة والراس الغنم بثلاثة الاف حنكة
وهي مجاورة لاوفات ومملكة اربيبي طولها اربعة ايام وعرضها
كذلك واهلها حنفية وهي تلي دوارو وهم كاهلها في المعاملة
وغيرها وهدبه ومملكة هدبه طولها ثمانية ايام وعرضها تسعة ايام
وملكها اكثر الجميع عسكرا وزيهم كزي اربيبي حتى في المعاملة هم
واليها يجلب الخصيان الخدام الذين يوقفون بارض مصر
بالطواشية واحدهم طواشي فان صاحب امحره يمنع من خصي
العبيد ويشدد في ذلك فتاتي السراة الى مدينة وشلوا

واهلها هم لادين لهم فتخصي بها العبيد فانه لايوافق على ذلك
في جميع بلاد الحبشة سواهم ثم يحمل من يخصى الى مدينة هدية
فتقاد الواسي مرة ثانية حتى يندمل جرح البول فانه يكون قد
افسد بالفتيخ ثم يعالجون بيرا الدربة اهل هدية بذلك وقل من
يعيش من الخصيان لانهم يحملون الى هدية من غير علاج ومملكة
شرخا طولها ثلاثة ايام في عرض اربعة ايام واهلها حنفية
ومملكة بالي طولها عشرون يوما في عرض ستة ايام وهي اكثر
بلاد الزيلع خصبا ومعاملتهم بالاعواض غنما بيقر وبقرا بثياب
وخرز ذلك واهلها حنفية ومملكة دارة طولها ثلاثة ايام في عرض
ثلاثة ايام وهي اضعف ممالك الزيلع واهلها حنفية وهم
ايضا يتعاملون بالاعواض وجميع ملوك هذه الممالك
انما هم نواب عن الخطي لايقيمهم الا هو ويجاور هذه البلاد
ناصع وسواكن ودهلك واهلها مسلمون والسنة الممالك
الزيلع لغاتهم مختلفة تبلغ زيادة على خمسين لسانا وكلهم
تكتب بالقلم الحبشي وكما علم من اليمن الى الشمال وعدة
حروف هذا القلم ستة عشر حرفا لكل حرف سبعة حروف
فروع عنه جملة ذلك مائة واثنى عشر الفا حرفا سوى حروف
اخر مستقلة بذواتها لاتفتقر الى حرف من الحروف المذكورة مع
مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لاتنفصل عنه هكذا كان ترتيب
هذه البلاد ودولها ما بقي ومنها ما زال بزوال الدول وقيام
دول سواها سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله

تبديلا

مملكة شرخا
مملكة بالي
دارة

تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ذكر الدولة القائمة بجزاير
النصارى من الحبشة اعلم ان هذه الدولة قام بها قوم من
قريش فمنهم من يقول هم من بني عبد الدار ومنهم من يقول
لبني هاشم ثم من ولد عيسى بن ابي طالب قدموا ولهم من الحجاز
ونزلوا ارض جبرت التي تعرف اليوم بجبرت وهي من اراضي
الزيلع واستوطنوها واقاموا بمدينة اوفات وعرف جماعة
منهم بالخير واشتهروا بالخير لصلاح الى ان كان منهم عمر الذي
يقال له ولشمع ولاه الخطي مدينة اوفات واعمالها فحكم بها
مدة طويلة وصارت له بها شوكة قوية وعسكر سيره
حتى مات وترك اربعة اولاد او خمسة ملكوا اوفات من بعده
واحدا بعد اخر منهم يزيد ودنهم حق الدين الاول حتى كان
اخرهم صبر الدين محمد بن دلخوي بن منصور بن عمر ولشمع
فملك اوفات في حدود سنة سبعمائة من سنين الهجرة وطالت
مدته فلما مات قام ابنه علي بن صبر الدين محمد بن عمر ولشمع
واشتهر ذكره في البلاد وخرج عن طاعة الخطي ثم عاد اليها فان
اهل البادية لم توافقه بل خالفت عليه فولى الخطي سيف ارعد
ابنه احمد ويعرف بجرب ارعد بن علي بن صبر الدين محمد بن عمر
ولشمع على مدينة اوفات واعمالها وقبض على علي واتر له عنده
بمكان هو وولاده فاقام علي بن صبر الدين عند الخطي نحو ثماني
سنين ثم رضي عليه واعاده الى ولايته على مدينة اوفات وقد
سار ابنه احمد جرب ارعد الى الخطي فالزمه ان يقيم ببابه فاقام في

وولد له هناك ثلاثة اولاد منهم سعد الدين محمد ثم ان الخطي رضي
عليه وكتب الى ابيه علي يامره ان يوليه موضعا من اعمال جبرت
فامتثل ذلك وولاه عملا من اعماله فسار الى ذلك العمل واقام به
مدة الى ان قتل في بعض حروب رعيته فقام في موضعه اخوه
بكر بن علي وكان احمد حربا ارعد قد ترك بمدينة اوفات ولدا
يقال له حق الدين وقد اشتغل بطلب العلم وصار مطرح
الجانب للاغراض من جده علي بن صبر الدين عنه وهجره اياه مع معلومات
عمه سلطان اصفح بن علي لما العداوة الشديدة وبغضته المقت الشديد
ثم انه اخرجه من مدينة اوفات الى بعض اعماله الذي لزم والى تلك
الجهة ان يهينه ويستخدمه فاخرجه الى الجهة الى جبا يقال
بعض النواحي فاخذ عند ما صار الى ومواليه في تدبير امره والقيام
عليه وجمع الناس عليه حتى قوي جانبه واظهر الخلاف على عمه
ولاه فسار اليه وحاربه فانتصر عليه حق الدين وقتله وغنم
ما كان معه وضم اليه من كان معه من المقاتلة ونزل لهم المال
فقامت قيامة عمه سلطان اصفح وكتب الى الخطي يخبره الخبر
ويطلب منه النجدة لمحاربته فامده الخطي سيف ارعد بعسكر
يقال انه عدته ثلاثون الفا فلقيهم حق الدين وقاتلهم قتالا
شديدا ايده الله عليهم حتى قتل منهم خلقا كثيرا وغنم ما معهم
وهزم عمه وقد شهد الوقعة فسار في هزيمته الى الخطي فبعث
معه عساكر عظيمة جرارا فتلقاهم حق الدين وقاتلهم فقتل عمه سلطان
اصفح بن علي بن صبر الدين محمد بن ولشمع واستاصل حق

الدين

الدين العساكر فلم ينج منهم الا القليل وغنم ما معهم وسار الى مدينة
اوفات وبها اخوه علي بن صبر الدين وقد اشتد حزنه على
ولده سلطان اصفح فانه كان اكبر اولاده عنده وكان هو القائم
بامر الدولة وتدبير الامور وترايد مع ذلك حنقه على حق
الدين وبغضته اياه الا ان ضرورة الحال اقتضت كفه عنه
لعجزه عن مقاومته فتادب حق الدين مع جده واقره على
ولاية اوفات فامره عند ذلك بحمل حمله اليه وسار حق
الدين بمن معه عن اوفات واخرج معه ايضا اهلها
ونزل ارض شوه وبني هناك مدينة سماها سماها وحل
ونزل بها اوفات وجعل دار ملكه فتلك ست من حينئذ
مدينة اوفات واتضعت حتى خربت وكان حق الدين
هذا اول من خالف من اهل بيته علي الخطي ملك الحبشة
من الجبشة الكفرة وخرج من طاعته وهو اول من استبد منهم
بالامر وما زال يحارب الخطي وعساكره ويأسر منهم ويغنم الى
ان مات الخطي سيف ارعد وقام من بعده بامر الحبشة الخطي
دار يب وهو داود بن سيف ارعد فاستمر حق الدين على محاربته
ايام والده يوديد بنصره على امره بحيث انه كان ينتزع منهم بضع
وعشرين وقعة في مدة تسع سنين اخرها انه سار اليهم وقاتلهم
قتالا شديدا الى ان استشهد فيه سنة ست وسبعين وسبعمائة
بارض شوه ولم يوجد مع القتلة وكانت مدة سلطنته خمسا وعشرين
سنة وكان شجاعا مقداما متوحيا النفس مجبولا مهابا وقام من بعده

اخوه سعد الدين ابو البركات محمد بن علي بن صبر الدين محمد والخوي
ابن منصور بن عمر ولشتم مضى علي سيرة اخيه حق الدين في جهاد
المحرم الكفرة لكن بتؤده وسياسة حسنة فكثرت عساكره وتعددت
عماراته واتسعت مملكته فقاتل مرة في اثنين وسبعين فارسا فكسرهم
ثم ظفر به العدو بعد ذلك في موضع يقال له اهبره وربطوه وساقوه
الى كبيرهم فادركه احد فرسانه وقتل من معه حتى خلصه من
ايديهم واركبه فرسه ورده الى اصحابه فجهم وجد في قتال امره ولقيه
مرة في امر الخطي وهزمهم واسرت معه حتى بيع كل عبد من
الاسرى بتفصيله ومضى من فوره الى رلال ففتح تلك البلاد وغنم
اموالها فبلغت حصته لخاصة مقدار بعين الف فرقها جميعها على
الفقراء والمساكين وعلى العسكر حتى لم يجدها باكله الى ان اطلقه
احدى زوجاته وحصل لسليم بن عباد زوج ابنته اثنى عشر
الف بقره فامره ان يخرج بها زكاتها فامتنع فتغير عليه فارسل
الله تعالى عليه الكفره فاخذوه وما معه فلم يخلص منه سوى زوجته
ابنته سعد الدين بحيلة تدارك بها الله فيها بلطفه وغيري ايضا
بلدات من رمدوه في اربعين فارسا وبها من الكفرة اعداد لا
تحصى فكانت بينه وبينهم قتله عظيمة نصره الله فيها نصرا عزيزا
واغنمها الا يدخل تحت حصر وغزى ابالي وامره وهم في عشرة
امراء كل امير منهم في عشره الاف وهو في خمسين فارسا وجميع
من معه لا يبلغون عدة امير منهم فعند ما تلاقوا في الجمعة توضا
هو واصحابه وصلوا ركعتين وسال الله تعالى النصر وهم

يومئون

يومئون على دعائه ثم ركب بمن معه وقتلهم فهزمهم الله ونصره
عليهم فقتل واسر منهم عددا لا يحصى بحيث بقيت روس القتلى ملأ
الارض لا يجد المار موضعا يمر به الا عليهم وكان بينه اذ ذاك وبين بلاده
مسافة اثنى عشر يوما فعاد منصورا غانما وجرد مرة من اصحابه
رجلا يقال له اسد في اربعين فارسا فلقيه امير من امراء الخطي يقال
له ابن حشر في خمسين فارسا لابسين التالجوب ومعه من العساكر
الراكبين الخيل عربا عالم كبير وكان مشهورا بالقوة والشجاعة عند
قاتل الفريقان اعظم قتال واشده فقتل الله اللعين ونصر
المسلمين نصرا عزيزا وغنموا اغنام عظيمة فجمع الخطي امره
ورجعوا الى بلاد المسلمين فلقيهم امير اسمه محمد في ستة فرسان وبحق
الف راجل فقاتلوا قتالا عظيما شديدا استشهد فيه الامير محمد ومن
معه ولم يسلم منهم سوى فارس واحد فجرد الخطي اميرا يقال له بارو
فلقيه سعد الدين بنفسه ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون وجميع
اهل البلاد وقد تحالفوا جميعا على الموت فكانت بينهما وقعة
عظيمة استشهد فيها من المشايخ الصلحاء اربعماية شيخ كل شيخ منهم له
عمار وتحت يده من الفقراء السالكين عدد عظيم فاستجر القتل في
المسلمين حتى هلك اكثرهم وانكسر باقيهم ومر سعد الدين على وجهه
واسره في اثره تتبعه حتى التجا الى جزيرة ربيع في وسط البحر فحصروه
بها ومنعوه الماء الى ان دلهم بعض من لا يتقي الله على الوصول اليه
فلما وصلوا اليه قاتلهم فاصيب في جبهته بعد قعده ثلاثة ايام فخر
الى الارض فطعنوه فمات رحمه الله وهو يستشهد ويضحك وذلك

في سنة خمس وثمانين مائة وقد ملك بعده من ثلاثين سنة وكان رجلا
صالحا وفي ايامه مات جده علي بن صبر الدين في سجن الخطي
بعد ما اقام مسجونا نحو الثلاثين سنة ولما قتل سعد الدين
ضعف المسلمون بموته واستولى الخطي وقوم امره على البلاد
وسكنوها وبنوا بها الكنايس وخربوا المساجد وارقعوا بالمسلمين
وقايع نزل بهم فيها من القتل والاسر والسبي والاسترقاق ما لا
يمكن التعبير عنه مدة عشرين سنة وكان اولاد سعد الدين
قد فروا الى بلاد الروب وهم عشرة اكبرهم صبر الدين علي فاكرمهم الملك
الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل ملك اليمن واترلهم ثم جهزهم وامدهم
بهم ستة افراس فخرجوا الى موضع يسمى سيار وحي فتح الله عليهم
ولحق بهم عساكر ابيهم فقام بامرهم صبر الدين علي وزحف لقتال
امره في سبعة من الزمان سوى المشاة وقاتل في موضع يقال له
ذكر امره وهم في ثمانين فارسا فهزمهم واستولى على ذلك الموضع وسار
الى سرحان وقاتل من هناك وكسرهم وحرق كنايسهم وبيوتهم وغنم
من الذهب وغيره ما لا يحصى ومازال ينتصر امره حتى جمعوا له
وصاروا في عشرة امراء تحت يد كل امير زيادة على عشرين
الفا ومقدمهم يقال له بخت بغل فملكوا بلاد المسلمين واقاموا بها
سنة وصبر الدين بمن معه فارين من بلد الى بلد وبهم من الجوع والعطش
والتعب ما لا يوصف ثم ابتدأ الله وقوه حتى حرد اخاه
محمدا ومعه حرب جوش وغيره من الاعيان في عشرين فرسا الى بلد
يقال لها رطوا فقاتلوا امره قتالا عظيما قتل فيهم مقدمهم في عدة من

امراء

امراء الخطي وقتل من عسكرهم ما لا يحصى وهزموا بقاياهم وغنموا
غنايم كثيرة وملكوا البلد زمانا ثم صار صبر الدين بنفسه وعلم
الى بيت الملك وقاتل امره وقتل اميرا كبيرا وحرق بيت الملك واكثر
من قتل من هناك وعاد ثم جرد اخاه الى قلعة يروت ففتحها
صلحا وعاد منصورا ثم جرد اميرا اسمه عمر ومعه ستة فرسان
الى بلد لحب واحرق في عدد كالجراد فهانت بهم وقعة عظيم قاتل
المسلمون فيها قتالا شديدا حتى ماتوا كلهم وقد صارت المزارق
تاتيهم كالمطر من كثرتها ثم قطعوا بالسيوف رحمة الله عليهم وسعد
صبر الدين مرة وقعة كاد العدو ان ياخذ قبضا باليد فنجا بفرسه
وقد اعترضه راد عرضه نحو عشرة اذرع فوثب بفرسه حتى
تعداه وخلصه الله منهم وما زال يلي امر المسلمين الى ان مات
على فراشه مبطونا رحمه الله بعد ثمان سنين في حدود سنة خمس
وعشرين وثمانمائة وكانت سيرته مشكورة فقام بالامر بعده
اخوه منصور بن سعد الدين وعضده اخوه محمد وسار الى بلاده
وهي دار ملك الخطي وبها صبره فقاتله حتى اخذه اسيرا وقتله
في عدة كبيرة فالتجى نحو الثلاثين الفا الى جبل يقال له مخا فحاصرهم
فيه زيادة على مدة شهرين يقاتلهم كل يوم حتى كلوا وجاعوا وعطشوا
فنادى فيهم بخيرهم بين الدخول في دين الاسلام وبين اللحاق
بقومهم فاسلم منهم نحو العشرة الاف ونزلوا اليه من الصبح الى غروب
الشمس وسار من الغد بهيتهم الى بلادهم فغنم من الخيل ما يبلغ
فرس حربية واقام عشرة ايام ورجع امره وانوه في عدده

كالجراد المنتشر ما كثرتهم فقاتلهم اشد قتال حتى كلت الفرسان وحن
وخيولهم من شدة الحرب وقتل عشرة من امراء المسلمين فوقع منصور
واخوه في قبضة الخطي اسحاق المدعو ابرم بن داود سيف ازعد
فكاد يطير من الفرح وقيدهما وسجنهما وكل بهما وذلك في سنة
ثمان وعشرين وثمانمائة لسنتين من ولاية منصور واستولت النصارى
من امره على البلاد كما كانوا قد قوا وعند ذلك قبض على منصور
كان بالامر في الحال اخوه جمال الدين محمد بن سعد الدين وهو
ضعيف وقد بقي من الامراء حرب جوش وكان من امراء الخطي اسلم
في ايام سعد الدين وقدم اليه وصار من اكابر الامراء العونة وشجاعة
وكثرة اتباعه فخرج على جمال الدين البرابر فوجه اليهم حرب جوش
فعرض عليهم الصلح وقد جمعوا له جمعا فيه سبعة الاف فرس وسيف
فابوا الا محاربته وهو موافقهم من الصبح الى الظهر ثم فاتلهم قتالا عظيما
حتى هزمهم الدم الى بيوتهم وهو في اثنيتهم فانقادوا للامر ودخلوا
في طاعته وتسموا اليه زكاة اموالهم وعاد اليه منصورا ظافرا
ثم بعث حرب جوش الى بلاد دمالي في عشرين فارسا فلقي امره وهم
في عدد عظيم يجتمعوا فيما مضى منه فقاتلهم اشد قتال فانتصر عليهم
وعاد فجمع الخطي عساكر كثيرة جدا ونزل جدابيخصار اليهم جمال
الدين وعاد منصورا وتوجه الى امره الى بحري وقد استطال الخطي
وجمع عليه جموعا يريد امير وعزم على ان لا يبقي بالجبشة مسلما فلقيه
فلقيه جمال الدين في خمسماية فارس وقد جمع الخطي من الفرسان
ما لا يحصى كثرة فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة فقتل الدم امره

وهزم

وهزم باقيهم وركب جمال الدين اقفيتهم وهو يتبعهم ثلاثة ايام وهو
يقتل ويأسر حتى امتلأت الارض بالقتلى وحرق الكنايس والبيوت
وسبا النساء والاولاد وغنم الاموال حتى بلغت عند الجبول
المسلمة التي غنمها زيادة على مائة فرس واما الجبول العراة فلا
تحصى لكثرتها واقام في هذه الغزاة ثلاثة اشهر وبعث حرب
جوش الى بالي فقتل واسر وسبا ما لا يحصى وغنم غنايم عظيمة
حتى صار يعطي لكل فقير ثلاثة رؤس من الرقيق ومن كثرتهم
بيع الراس من الرقيق ومن كثرتهم يبيع بربط ورق وبخاتم واحد
ورجع منصورا غانما فسار جمال الدين بنفسه لغزوة امره في
جمع عظيم لم يجتمع لاحد مثله وهو الف فارس وهو يقتل ويأسر
ويسبي ويغنم والخطي بجموعه هارب منه وهو في طلبهم يتبعهم
خمسة اشهر حتى وصل اليه فلم يقاتله الخطي وهرب منه الى راس بحر
النيل فعاد جمال الدين بغنايم لا تحد ولا تعد ثم جد اخاه احمد والامير
جوش الى دمار وفقابا بحرا وتتابع عديده واسراهم ثلاثة اشهر
وغنمات من فرسا وغنايم كثيرة وعاد باعز نصر ثم سار جمال الدين بنفسه
يقتل ويأسر سبعة عشر يوما فتفرقت امره في ثلاثة
امره في ثلاثة مواضع يريد اخذ بلاد جمال الدين وعياله فعاد
راجعا يريد لقاهم وقطع مسافة عشرين يوما في سبعة ايام حتى
لقيهم ببلاد دسمي هواي وقد نصب هو واصحابه تعابيرا والعدو
مستريح فكانت بينهم وقعة عظيمة دمت كثرة الجموع وشدة القتال
اختلط الناس فما كان احد يعرف صديقه من عدوه ثم انزل الله

نصره على المسلمين فاخذوا جانبا من امره وانتصر امره ايضا واخذوا
جانبا من المسلمين وعظم كل منهم ما حازه ثم ثار على جمال الدين بنو
عمه وحسدوه وقتلوه في جمادي الاخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة
وله في السلطنة سبع سنين وكان خير ملوك زمانه دينا ومعرفة
وقوة وشجاعة ومهابة وجهادا في اعداء الله تعالى بحيث انه ملك
كثيرا من بلاد الحبش واعماله ودخل جماعات من عمال الحبشي وولاه
في طاعته وقتل واسر من امره ما لا يدخل تحت حصر حتى امتلات
بلاد السند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والعراق وفارس
من رقيق الحبشة الذين اسرهم وساهم في غزواته ومازال مويدا
من الله تعالى منصورا على اعداء الله حتى ختم له بالحسنى وكتب
الله له الشهادة وكان يصحب الفقهاء واهل الخير من الصالحين
وينشر العدل في اعماله الرحيبة في اهله وولده ولقد بلغني من عدله
ان لعب بعض صغار اولاده قاذورة يوما مع اقرانه واترابه من الولدان
فضرب صغيرا منهم كسر يده ولم يبلغ جمال حتى مضت مرة فاشتد
في الانكار على خدمه اذ لم يعلموه وطلب اوليا الصغير الذي كسرت
يده وعتبهم على اخفاء هذا عنه وجمع اهل دولته وطلب ابنه الجاني الصغير
الذي كسر يده ليقتص منه فقام اعيان الدولة وامراؤهم بين يديه يضرعون
اليه في العفو وانهم يرضون اوليا الصغير فلم يفعل وابى الا احضار ولده
فاحضر اليه فلما قدم ليقتص منه ضج الجميع بالبكاء وقام اوليا المكسور
يده وعفوا فلم يرجع اليهما حتى قدم ابنه اليه واخذ يده بيده ووضعها
على حجر ورضها بحديدة كسرها وهو يصيح ثم انمحى عليه فحمل

الى

الى امره واصوات ذلك الجمع كله على كثرته قد ارتفعت بالعويل والبكاء
رحمة للصغير فكان امرا مهولا وجمال الدين مع ذلك ثابت وقابل ولده
ذق بما اذقت ولما الناس حدثني بهذا الخبر الثقاة الذين حضروا
ذلك المجلس بين يدي جمال الدين وشاهدوه فلم يتجاسر بعد
ذلك احد من اهل الدولة ان يمد يده لمال احد ولا استطاع بعدها
جليل ولا حقير ان يجني على غيره وكان من شدة مهابته
اذا مر في اي موضع نهى عنه لا يتاخر احد من امرايه بل يقف الجميع عند امره
ونهيه في جميع اعماله خوفا من شدة سطوته وانفاذ عقوبته وشانه
عديدة ومآثره كثيرة وجملة القول فيه ان الله ايد به الدين ونصر
به دولة الاسلام والمسلمين وكان من جليل سعادته ان الله تعالى
اهلك في ايام دولته طاغية الكفر الحبشي اسحاق بن داود بن سيف
ارعد في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وقيم بعده انذار بن
ابن اسحاق فهلك لاربعة اشهر من ولايته وقام ياسر امره
عمه حزبنا بن داود بن سيف ارعد فكانت اربعة ملوك في نحو
سنة وكل ذلك تعظم فتوحات جمال الدين الجليلة وتعدد وقايعه
العظيمة وقتله اعماله وعمائمه واسره وقتلاه وسباه من
تمكينا من الله تعالى له في الارض وتاييده له بالنصر ومع هذه
الفتوحات العظيمة فلقد اسلم على يديه عالم من امره لا يحصى
عددهم هداهم الله به وابعدهم عن النار بمن دولته وذلك
فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولما
استشهد جمال الدين قام ياسر المسلمين من بعده اخوه شهاب

الدين احمد بذلاي وما زال يجتذب في قصيل قاتل اخيه جمال الدين حتى
ظفر به وقتله وجرى على ستة اخيه في غزواته وفتح من بلاد
عدة اعمال وقتل طائفة من الفرنج وخرب البلاد وغنم وقتل واسر وسبا
عالما كثيرا بحيث كثرت الاموال من الذهب والفضة والثياب والدواب
في ايدي جماعته في ايدي جماعته وجاز وا من الوصاف ما لا يعد
وخرب ستة كنايس وعدة قرى واسر البلاد من ايدي النصارى
ورد اليها الفيوم من المسلمين الا انه حدث في ايامه سنة تسع
وتسعين وباعظم مما فيه من المسلمين والنصارى حوالي العشرة آلاف
وهلك فيها الخلق واقاموا بعده صبيا صغيرا هذا والسلطان
بذلاي مقيم في بلاد دكر واخو صغير الدين في بلاد وكلمو واظهر
بذلاي سيرة العدل في مملكته واصلحت الطرق وانكف الناس عن
الظلم من العسكر وغيرهم ورخصت الاسعار وفي ايامه نال مولفه
تغمده الله برحمته حريته وجاهه ومولفه احمد بن علي المقريزي
في ذي القعدة سنة احدى واربعين وثمانمائة فصح جهد الطاقة
والله اعلم بغيبه واحكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه اجمعين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين

مكتبة المصطفى الالكترونية

www.al-mostafa.com